باب
التاريخ والاجتماع

عبدالله باشا يبسط قضيته

للدكتور اسد رستم

توطئة : في سجل المحكمة الشرعية بمدينة القدس الشريف رسالتان من عبدالله باشا الى اهالي البيت المقدس وحكامه فريدتان في جنسهما لا يعرف لهما شبيه . واذا ثبتت اصليتهما كانت لهما اهمية تاريخية كبرى لانهما الوحيدتان من نوعهما اللتان تحفظان لنا كلام عبدالله باشا في اسباب النزاع الذي قام بينه وبين محمد علي باشا في اوائل الربع الثاني من القرن الماضي[1] . علينا اذاً — اولاً — ان ننشرهما ونضبط قراءتهما ضبطاً تاريخياً تاماً وثانياً ان نثبت اصليتهما وثالثاً واخيراً ان ننظر في امر محتوياتهما لاقرارها الاقرار التاريخي المرام او لدحضها ونبذها او لابداء الشك فيها .

نص الرسالتين — الرسالة الاولى: صدر الموالي العظام عمدة العلماء الكرام نخبة الفضلا الفخام رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين المختص بمزيد عنايت الملك المعين مولانا منلا افندى محروسة القدس الشريف حالا افندى دامت فضائله وافتخار العلما الكرام الماذون بالافتى بها حالا افندى زيدث علومه

(١) هذا اذا استثنينا احدى رسائله الى اعيان دمشق كما سيجيء بك

وفرع الشجرة الزكيه نقيب الاشراف افندى زيد شرفه وافتخار الاماجد والاعيان وكيل تكية العامرة مصطفى اغا زيد مجده وقدوة الاماثل والاقران ميرالاي زيد قدره ومفاخر العلماء الكرام وسائر علماء وخطباء وأئمة ووجوه واعيان وارباب التكلم وعموم اهالي مدينة القدس الشريف زيد علومهم وقدرهم بعد السلام التام بمزيد الاعزاز والاكرام والسوال عن عزيز خواطركم المنهى اليكم قبل تاريخه اعرض لنا متسلمنا في لوا غزه والرملة ولد والخليل ويافه اباظه ابراهيم اغا بان وردت الاخبار عن قدوم عسكر من جهة والى مصر الى العريش وشيوعهم انهم قادمين الى غزه والى هذه الجهات فقبل تاريخه طرق المسامع الشريفة الملوكية حركة والى مصر لجهة الاقطار الشامية وبما ان وقوع هذه الحركات مغايرة الرضا الشريف الشاهانى وهو بنفس الامر خروج على السلطان بوقته تحركت عليه حرارت الغضب الملوكى وصدرت الاوامر الملوكية لنا والى حضرة اخواننا الوزراء العظام والى الشام ووالى حلب [وخصوصي] اخينا قبطان باشا المعظم فمتى تحقق خروج عسكر والى مصر من طرفه لهذه البلاد وايالتنا فقد صار فرملى مغضوب مولانا السلطان وجميع مامورين بالتجرد على المذكور برا وبحرا والغزا فيه وقتاله وهلاكه فبتاريخه ورد لنا عرضحالات من متسلمنا المولى اليه ومن جناب عساكرنا ان بلغهم قدوم عسكر مصر الى غزه فالان ثبت وقوعه تحت الغضب الملوكى وصار فرملى هو وعساكره ومن يلوذ فيه وينحاز اليه فمن طرفنا على الاتكال على واحد احد[1] والاستمداد بروحانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شمرنا [عن] ساعد العزم بابراز الاستعدادات الكلية لضربه وقتاله وانفاذ الاوامر الشريفة الملوكية فيه وعلى الفور اصدرنا اوامرنا الى المتسلم المومى اليه وضباط عساكرنا المقيمين بالسناجق في قلعة يافه [بتحريضها] والثبات قدامه وصدرت اوامرنا الى مشايخ نواحي سنجق القدس الشريف ومشايخ جبل نابلس بالتجريد بالعدد والبارود بمضاربة هذا اللعين الخارجى عاصى السر والسلطان فنكون يدا

(١) هكذا وردت في السجل ولربما كانت في الاصل هكذا: بعد الاتكال على واحد احد.

واحدا مع متسلمنا وعساكرنا لتقوية يافا وقتاله وصده عن معصاه وبادرنا بجلب العساكر من كل جانب من سائر الممالك والجهات لاجل ارسالها اورديات . . . لضربه وقتاله وحالا اعرضنا الي ولى نعمتنا الدولة العلية صانها رب البرية وبحوله تعالى وقوته وباهر عظمته في ظرف ثلاثين يوم من تحريراتنا تحضر لطرفنا الامداد السلطانيه والعساكر المقاتلة برا وبحرا [ويتيسر] هلاك هذا الباغي المفسد وليصير عبرة للناظرين وبمقتضى المصلحة اقتضي اصدار بيورلدينا هذا اليكم بتوضيح هذه الكيفية [على] ما تقدم شرحه فلا يخفى الجميع منكم ان هذا الخاسر معلوم حاله بارتكبات المنكرات والفضايح المغايرة الشريعه والسنه واستعباده المخلوقات وغلبته على النعما والاولاد والعرض والدما وسوء قصده وظنه الفاسد يشلو له انه يعوث بهذه البلاد وبعاملها [بنظير] معاملته في الاقاليم المصرية فحاشا ان [ينال اربابه] ولكن بما ان مراسيم الاحتياط واجبة فيلزم منكم بعد تلاوة بيورلدينا هذا تقروا الفاتحه الشريفه وتجلبوا بالدعا الخيرى لحضرت مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن وابد وايد تخت سلطنته العظما الى انتهاء الزمان وانقراض الدوران والعلما الاعلام يخبروا العام بمضمون الشريعه المطهره وان من يخرج على السلطان فقد خرج عن امر الله تعالى من فساد هذا العاصى الفاسق بان لا يلغوا فيها وبدينها [1] فالجميع منكم غيرة الدين تكونوا انتم وعساكرنا يدا واحدا مع متسلمنا الحاج محمد شاهين اغا وتحافظوا على هذه المدينة المشرفة اذا تخطا احد من عساكره قليل ام جليل فتنهضوا بغيرة دينية وحمية اسلامية بدفعه وقتاله وليعلم الجميع ان من قتل منكم فهو شهيد والمغازى الحى السعيد وقتيل الاعدا هالك ومن يتخلف ام يوافق ام يخامر بالاشارة ام بالسر ام بالجهر فيكون خارجى وارتكب جناية مهلكة وخطر جسيم حيث نحن بحوله تعالى وقوته ثابتين ومستعدين والامدادات الملوكية ورودها قريب ودفع

---

(١) ولعل الاصل كان هكذا : بان لا يتغوا فيها وبدينها ويكون الصحيح حينئذ يوتغوا من اوتغ فلان دينه ايتاغا اي فعل فعلا يوتغه ويوثمه .

صولة هذا الفاسق وهلاكه وتدميره [يتيسر] باقرب وقت وحال [وكل من] ارتكب هذا الخطر يهلك هو وذريته ويصيروا عبرة الى الناظرين عدا الذى سبب الخيانة بموافقته كما شرحنا يجلب هكذا مضرات فظيعة على المدينة المطهرة واهلها الفقرا الذين [بكل مدتنا] ما اغفلنا عن ملاحظة راحتهم ورفاهة احوالهم فيها فصلنا لكم الواقع باطرافه ونتايجه وملحوظ ان نسمع عنكم كل غيرة صادقة باجراى مضمون مرسومنا هذا الذى محسناته حماية لكم ولنعمتكم [واولادكم] واملاككم وارزاقكم وعرضكم وديمائكم وبلدتكم وخصوصا تكونوا ابرزتم صداقة حسنة قدامنا وعند حضرت ولى نعمتنا الدولة العلية صانها رب البرية فبناء على ذلك اصدرنا لكم بيورلدينا هذا من ديواننا في قلعة النصر داخل دار الجهاد محروسة عكا المحمية بوصوله واطلاعكم على مضمونه تعملوا بموجبه وتعتمدوه غاية الاعتماد وتتحاشوا مخالفته في ٢٩ جا[1] سنة ١٢٤٧

الرسالة الثانية جناب صدر صدور الموالى العظام عمدة العلمآء الكرام ونخبة الفضلا الفخام ذوى الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبيا والمرسلين المختص بمزيد عنايت الملك المعين مولانا منلا افندى محروسة القدس الشريف حالا افندى زيدت فضائله وفخار العلما الكرام ماذون بالافتى حالا افندي زيدت علومه وفرع الشجرة الزكية نقيب الاشراف افندى زيد شرفه وفخار الاماجد والاعيان متسلمنا في سنجق القدس حالا مملوكنا وولدنا الحاج محمد شاهين اغا زيد مجده ومفاخر العلمآ والصلحا الكرام علمآء المدينة وصلحائها عموما زيد علمهم وصلاحهم ومفاخر اقرانهم كامل وجوه البلده واعيانها بوجه العموم زيد قدرهم بعد السلام التام المنهى اليكم انه لا خفاكم ان حركة هذا الخبيث محمد علي على الخروج على السلطان فهى من مدة مديدة تنوف عن خمسة اشهر وفي ذلك الوقت حين طرق المسامع الشريفه الملوكية حركة هذا الخبيث بالخروج صدرت اوامر شريفة الى سعادة اخينا قبطان باشا بان يكون على حذر ويوعظه فعندما يسمع بخروجه برا وبحرا

(١) اي جمادى الاولى كما في «مصرار جاج بشن لذاذ»

حالا يسرع بالحضور وصحبته الدننما الهمايونية لهذه الاطراف ويكون معنا يدا واحدة في ضرب وتنكيل هذا الشقي الخاسر وصدرت كذلك لنا الاوامر الخاقانية تخبرنا بهذا الخصوص وان نشد عزمنا الى مصادمته وضربه وتنكيله في حين تحقيق خروجه ومضى الامر من ذلك الى الان وهو مكتوم بالصدور ومتربصين نحن وسعادة اخينا قبطان باشا المعظم لوقت خروج هذا الخاسر عدو الله وعدو حضرت مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن فقبل تاريخه حين ورود عساكر هذا اللعين الى مدينة غزة هاشم وتحقيقنا ذلك حررنا اعراض نخبر الى حضرت اخينا قبطان باشا المعظم واخبرناه بالواقع وانهينا دولتهم بالحضور لهذه الاطراف لاجل الاتحاد والتعاضد مع سعادته وانفاذ اوامر حضرت ولي نعمتنا الدولة العلية بردع هذا الخارجي [وضربه] وتنكيله فلله تعالى مزيد الحمد والمنة يوم تاريخه الجمعة المبارك وردت الاخبار الاكيدة بان حضر بعض من مراكب دولته الى جزيرة قبرص وان سعادته قادم من ورائها وعلى موجب الحساب يكون وصوله لطرفنا في خمسة وعشرين هذا الشهر المبارك زمانية الى نهاية هذا الشهر وبحيث كما هو متحقق لدى الملاء اجمعين خباثت محمد علي واعوانه وظلمهم الشنيع الى الرعايا واسترقاقهم اليهم اقتضى نشر هذه البشراي المسره لجميع اهالي ايالتنا حيث محقق ومتيقن بورود اخينا المشار اليه في الدننما الهمايونية الى هذه الاطراف لا يثبت امام الدننما الهمايونية ولا يوم الفرد [و يتلاشا] امره وناخذ مراكبه المنحوسة ويوسر من بها من اولاده الخبثا واتباعه الخسرا ولا يبقى لهم باقية وحينئذ حالا نحن كذلك [نخش] عليهم من جهت البر ونضيقهم كووس الحتوف بعون الله تعالى وتطهر هذه الاراضي المقدسة من نجاساتهم وناخذ نحن وسعادة اخينا قبطان باشا المعظم اليد البيضا لدى ولي نعمتنا الدولة العلية حرسها رب البرية وذاك الوقت الصادق لدينا يبيض وجهه و ينال خيرا كثيرا من طرفنا فلاجل تبشيركم بقدوم سعادة اخينا المشار اليه في الوقت المعين المذكور اعلاه وهو اخر هذا الشهر اقتضى اصدار مرسومنا

هذا اليكم [تخبيرا بذلك] فيلزم منكم [تشدوا] عزمكم وثقووا باسكم وتحافظوا على الصداقة فيما يخولكم دوام بياض الوجه لدى حضرت ولى نعمتنا الدولة العلية ولدينا وقريبا بعونه تعالى تنظرون ما يحل بهؤلاء الخوارج من [الدمار] والبوار وقلع الاثار وخراب الديار بعون الملك الستار اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد في ٢١ ج[1] سنة ١٢٤٧

السيد عبد الله

والي صيدا وطرابلس ومتصرف لواء غزه والرمله

ولد والقدس والخليل وجنين

حالا غفر له

هذا هو نص هاتين الرسالتين كما عرفناه في سجل المحكمة المذكورة وقد ابقيناه على حاله بحروفه وغلطاته نعم نحن نصر على هذه الخطة في النشر مع علمنا العلم الأكيد — من رسائل عبدالله باشا التي لا تزال باقية بنفسها حتى الان — بان لغة هاتين الرسالتين في الاصل كانت اصح مما نراه في السجل المقدسي ولعل السبب في ذلك يرجع الى انحطاط لغة الكتاب في تلك المحكمة وعدم اعتناء اولياء الامر فيها بضبط السجلات من هذا القبيل الضبط القانوني المروم

***

اثبات الاصلية : ومع اننا نُقر بهذا الاهمال في ضبط سجلات المحاكم الشرعية وقتئذ فاننا نرى في وجود هاتين الرسالتين ضمن سجل رسمي يرجع عهده الى ذلك الزمن دليلاً قوياً يثبت اصليتهما ويقرها بوجه الاجمال . ولنا ايضاً في صحة اصل الصكوك الشرعية التي ترد قبل هاتين الرسالتين في السجل نفسه وبعدهما ما يقوي اعتقادنا في سلامة اصلهما وعدم تزويره . وبعد المقابلة بين نص هاتين الرسالتين ونصوص غيرهما من رسائل عبد الله باشا التي تحمل ختمه وامضاءه والتي لا تزال محفوظة حتى الان لدى ارباب البيوت الكبيرة في فلسطين وسورية تمكنا من

الوقوف على دليل اخر يدعم هذا الاثبات ويويده . فانك لو طلبت المجموعة الفاهومية في الناصرة واخذت بيدك مراسيم هذا الباشا الى الشيخ عبد الله الفاهوم وغيره لوجدت فواتحها وخواتمها كفواتح هاتين الرسالتين وخواتمها بالضبط . ثم اننا لا نجد فرقاً بين لغة واسلوب هاتين وتلك . اضف الان الى هذا كله ان سجلات الوزارة الخارجية في فرنسه التى ليس لها ادنى علاقة بسجلات محاكمنا الشرعية تؤيد بعض محتويات هاتين الرسالتين تاييداً تاماً[1]

***

المخبوءات واهميتها : يصح لنا اذا بعد اثبات اصلية هاتين الرسالتين ان نقول على الاقل ان عبد الله باشا «قال» انه قاوم محمد علي باشا سنة ١٨٣١ لان محمداً هذا «خرج عن الدين وعصى السر والسلطان ولانه اباح المنكرات واستعبد المخلوقات»

نعم يصح لنا ان نقول هذا القول ولو خلت سائر الاصول التاريخية منه

ولكن ايصح لنا ان نستنتج للتاريخ شيئاً اكبر من هذا فنقول ان لسان عبدالله في هذا الاقرار هو صورة قلبه بالضبط وان الباشا صحيح النبأ صدوق المقال يخبرنا بحقيقة ما كان يخالج قلبه آنئذٍ ؟ نقول ابنا في رسالتنا الى المؤتمر الدولي الجغرافي الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٢٥ ان محمداً قصد عام ١٨٣١ ان يتغدى حكومة الاستانة قبل ان تتعشاه وانه كان يحارب في الحقيقة للمحافظة على ثروته ومنصبه ومقامه تجاه هذه الحكومة وانه محتمل ايضاً انه كان يحارب للمحافظة على حياته نفسها او بكلمة اخرى ان مرماه كان الاستانة لا عكه وانه حقيقة خرج على السلطان كما جاء في كلام عبد الله وكما كان قد شاع في سورية قبل وصول الحملة المصرية[2]

وفي الامكان ايضاً ان نقول مع عبد الله باشا ان محمداً اباح بعض ما كان يعتقده المسلمون في ذلك العصر منكراً فانه لم يداوم على تنفيذ ما نصت به الشريعة

---

(١) Douin, Georges : La Mission du Baron de Boislecomte, (Le caire, 1927),64 — 66 .

المطهرة في وجوب اذلال الذمي وتصغيره كما ورد في مجمع الانهر وملتقى الابحر وغيرهما من كتب الشرع الاسلامي[١] في الشرح على ما ورد بهذا المعنى في صورة التوبة قال الجبرتي: « في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ نودي على طائفة المخالفين للملة من الاقباط والاروام بان يلزموا زيهم من الازرق والاسود ولا يلبسون العمائم البيض فما احسن هذا النهي لو دام »[٢] وجاء في اخر اخبار سنة ١٢٣٦ في الكتاب نفسه ما نصه : « واشتد في هذا التاريخ امر المساكن بالمدينة وضاقت باهلها لشمول الخراب فيها وكثرة الاغراب وخصوصاً المخالفين للملة فهم الان اعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الاكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وامامهم وخلفهم العبيد والخدم وبايديهم العصي يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لانهم يحتاجون الى كتبة وخدم واعوان والتحكم في اهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ويقف الشريف والعامي بين يدي الكافر ذليلاً »[٣] نقول والنهي عن المنكر واجب اقوله في الحديث من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان[٤] ولم يكن في امكان محمد علي باشا ان يقول لايمة ذلك العصر انه لا يستطيع تنفيذ نصوص الشريعة الغراء

وكذلك فان محمداً سمح باحتكار بعض الاقوات ان لم يكن اكثرها وبالتربص بها للغلاء ايضاً ولم يعبأ بما اوصى به الرسول حيث قال : من احتكر فهو خاطىء ولا

---

(١) اطلب كتاب مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر لشيخ زاده عبد الرحمن بن شيخ محمد بن سليمان (طبع القسطنطينية سنة ١٣٠٥) ص ٣١٣ و٣١٩ — ٣٢٢

(٢) كتاب عجائب الاثار في التراجم والاخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتي (طبع مصر سنة ١٣٢٢ جـ ٤ ص ٣٠٩

(٣) الجبرتي كما ورد قبلاً جـ ٤ ص ٣٣٧ اطلب ايضاً مخطوطة نوفل نوفل الطرابلسي (مكتبة جامعة بيروت الاميركية) ص ٤٩٠ — ٤٩١

يحتكر الا الخاطىء[١] قال المؤرخ المعاصر[٢] نوفل نوفل الطرابلسي : وزاد طمع الحكومة في امور خارجة عن اللياقة فان يوسف كنعان المذكور استدعى منها ان تاذن له بان يضبط كل ما يدخل الى البنادر من الباج الذي هو اصل قوت المصريين فهاجت المصريون واضطربت البلاد واظهرت اهالي المدن العصاوة[٣] واقبح من ذلك واشنع كثيراً هو ان رجلاً يقال له انطون نصره قدم عرضحالاً استدعى به حرية النساء المخدرات غير العواهر المعروفات اللواتي يدفعن مالاً مقرراً لامتلاك حريتهن من كل وجه و يرقصن في الاسواق الى غير ذلك بل النساء اهل الستر المحصنات في بيوتهن تعطى لهن ايضاً هذه الحرية التي للعواهر تحت مبلغ خمسة الاف كيس يدفعه سنوياً للخزينة فقبل التماسه وبعد ان رتب وكلاء لهذه البدعة الخبيثة في مصر اخذ يدور الاقاليم ثم حضر الى الاسكندرية واخذ مركزاً في المنشية واجرى اموراً يخجل القلم من وصفها فكشفت المستورات وظهرت المخبأت الى ان وجفت البلاد وكادت تمور بحكومتها فتدارکت القضية وادخلتها في حيز مالم يكن[٤]

ومع ان محمداً لم يحلل للدكتور كلوت بك اخراج الموتى من قبورها وتشريحها في مدرسة القصر العيني فانه لم يمنعه عن تقطيعها في اندية هذه المدرسة . ولا يخفى ما في هذا العمل من المخالفة لنص الشريعة المطهرة كما عرفها علماء ذلك العصر فان الرسول

---

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٦

(٢) ولربما كان شاهداً عياناً ايضاً اطلب كلامنا عن حياته في مجلة جامعة بيروت الاميركية ج ١٠ ص ٨٥

(٣) مخطوطة كشف اللثام كما مر بك سابقاً ص ٤٨٥ — ٤٨٦ . ويؤيد هذا الكلام المؤرخ المشهور عبد الرحمن الجبرتي في كتابه عجائب الاثار ج ٤ ص ٣٣٣

(٤) مخطوطة نوفل نوفل المشار اليها آنفاً ص ٤٨٥ — ٤٨٦ . راجع كلام الرحالة بابتيستان بوجولا في المجلد الثاني من رحلته في سوريا (طبع باريز سنة ١٨٤١) ص ٥٣٣ — ٥٤٥

اطلب ايضاً كلام نوفل افندي نوفل عن اباحة المسكر ص ٤٩١ من المخطوطة نفسها وكلام جرجي افندي يني في الموضوع نفسه في مجلة المباحث ج ١٤ ص ٨٧ — ٨٨ راجع كذلك ما جاء في مخطوطة الخوري بطرس حبيش عن علاقة محمد علي باشا بيوسف كنعان الخرجي في المجلة السورية ج ٣ ص ١٧٣ — ١٧٥

أمر باحترام الميت ونهى عن المثلة [١] ومع ان العلماء الازهر بين اليوم يحللون التشريح لما ينتج عنه من الفائدة العامة فان سلفاءهم في ذلك العصر رأوا في هذا النهي امراً قاطعاً باتاً واعتبروا كل قطع للانوف والآذان والاذكار والاطراف مثلة كما تقدم. قال الدكتور كلوت بك : وكان هناك عقبة ثانية ليست باقل صعوبة من السابقة الا وهي اضافة علم التشريح الى برنامج التدريس اذ لا يخفى ما كان يتوقف عليه تنفيذ هذا المشروع من مكافحة بعض الاوهام الدينية بالنظر الى الدين الاسلامي يقضي باحترام الموتى ويسلم ببقاء الشعور فيهم كما لو كانوا على قيد الحياة [٢]

وهكذا فاننا لو نظرنا الى بعض هذه الاصلاحات والتغييرات كما نظر اليها ابناء ذلك العصر في سوريا ومصر وجدناها كما وصفها عبدالله باشا واضطررنا ان نقول بوجه الاجمال ما قاله هو عنها [٣]

***

وفي الامكان ان نقول ايضاً ان عبدالله كان من المحافظين على التقاليد والعوايد الدينية القديمة وذلك لاسباب ثلاثة : اولاً لان ثلاثة من كبار معاصريه الذين عجموه فعرفوه حق معرفة يؤيدون هذا القول تأييداً تاماً. قال الخواجه انطون كاتافاكو قنصل فرنسا وروسيا والنمسا في عكة وقتئذٍ : احيط عبدالله منذ صغره بائمة الشريعة فنشأ على التعصب الديني [٤]. وقال الشيخ بشير جنبلاط الى الامير حيدر احمد — واللفظ للدكتور مخائيل مشاقه — ما نصه : ان سبب تغيير خاطر الوزير على

---

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٠ : «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال »

(٢) لمحة عامة الى مصر ج ٢ ص ٦١٧ اطلب ايضاً كلامه عن هذا الامر في تقاريره عن سير المدرسة ما بين سنة ١٢٤٠ هـ وسنة ١٢٤٧ (طبع باريز سنة ١٨٣٣) ص ١٤٧ — ١٤٨

(٣) اطلب حديث مفتي المنصوره مع الرحالتين ميشو و بوجولا عام ١٨٣١ في هذا الموضوع في رسائل ميشو و بوجولا من الشرق ج ٢ ص ١ — ١٤

سعادة الامير كاين بسبب الديانة فوالده[١] علي باشا جركسي مسلم ووالدته شريفة من اسلام جبلة والمعلم حايم اعتنى بتربيته وتعليمه على يد المشايخ المتعصبين حتى صار اشد منهم تعصباً[٢]. وقال الدكتور مشاقه نفسه: وكلما توجهت الى عبدالله باشا بدفعة اراه بنفسه ينتظر وصولي عند الصراف بالخزينة فيسألني اهل ابقيت مال اليزيدي[٣] وحده كما اوصيتك اجيبه نعم فيقول للصراف الشيخ عباس ان الكيس الذي يخبرك عنه مخايبل اضبط عدده واكتب فيه حافظة واختمه وارسله الى دار الحريم فيفعل كامره ففي احد المرات راجعه الشيخ عباس ما الغاية بذلك اجابه لاجل مصروفي الخصوصي كونه مال يزيدي واما غيره فهو ممزوج بمال ذميين مأخوذ منهم بغير وجه شرعي فلا يجوز لنا نأكل منه فقال له اذا كانوا سالكين بشروط الذمة فذلك صحيح واشار الى ٥ وقال هل ان مخايبل سالك بشروط الذمة في ملابسه وسلاحه فاختشيت من تاثير كلامه لان الباشا متعصب جداً في دينه واذ هو قد تفهقه ضاحكاً واجابه لا تحشر نفسك مع المشايخ العلماء لانه تحقق عندي جهلك وانك كبير اللحية صغير العقل فاظهر لك جهلك بسؤال هل ان الذمي يلزمه شرعاً ان نكلفه لدفع شيء غير الجزية فما بالنا نكلفه لاشياء كثيرة لا تلزمه اما كان بقتالنا مع درويش باشا الوف كثيرة منهم يدافعون عنا مجاناً وسفكوا دمايهم بخدمتنا وهكذا خدمنا الوف كثيرة منهم بمدة المرحوم عمنا لمقاومة الوهابي ولطرد كورد يوسف باشا واهلكوا كثيراً من رجالهم بدون منفعة تعود عليهم من طرفنا حال كونه لا يوجد مسلم يخدمنا الا لنفعهم الخصوصي واولهم انت ايها الشيخ المدعى بالعلم اتريد ان نعاملهم بالعهدة فهم يربحون وترجع الخسارة علينا فقل لي هل يلبسون الابيض ويتقلدون الاسلحة برضائي ام غصباً عني فاذا فعلوا [ما حتمنا عليهم] فيبقى لهم مالنا

---

(١) اي والد عبدالله باشا

(٢) الجواب على اقتراح الاحباب -- خط -- نسخة جامعة بيروت الاميركية ص ١٧٦

(٣) [illegible]

وعليهم ما علينا ولكن اذا نهيناهم ولم ينتهوا فيحل لنا ان نعاملهم معاملة الشقاق فيلزمك قبل ان تتكلم تتعلم[١]

وثانياً لان سماحة الشيخ عبد السلام افندي الطبري مفتي طبرية سابقاً وحضرة السيد عبد القادر افندي القباني يشهدان بحسن سيرة الباشا و بتمسكه بنصوص الشريعة الغراء وكلاهما مسن بلغ الثمانين فما فوق ونقل روايته هذه عن ابيه والابوان عرفا الباشا معرفة جيدة . وكذلك فان الشائع اليوم على السنة المسلمين في جهات عكة والناصرة وطبرية وصفد ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث المتسلسل الصحيح[٢]

وثالثاً لان قسماً مهماً من اقوال عبدالله وافعاله يشهد له بهذا الحرص وهذه المحافظة على التقاليد الدينية القديمة . فانك لو طلبت اوامره الى اعيان ايالته في مجموعة جامعة بيروت الاميركية وفي تاريخ الامير حيدر الشهابي ومخطوطة القس بطرس حبيش — لو طلبت هذه الاوامر لوجدت عدداً وافراً منها مشبعاً بالدين اشباعاً تاماً ومملوءاً بحسن المعاملة والعدل والانصاف والشفقة والرحمة[٣] ومما هو جدير بالذكر

---

(١) الجواب على اقتراح الاحباب ص ١٩٩ — ٢٠٠

(٢) اطلب راي مسلمي بيروت في عبد الله باشا عام ١٨٢٦ كما ترويه مخطوطة القس بطرس حبيش في المجلة السورية ج ٤ ص ٢٧ : فعظم ذلك على اسلام بيروت وتغيرت محبة عبد الله باشا من قلوبهم الى البغضة وكذلك عبد الله باشا ابغض اهالي بيروت بما ابدوه الاسلام من التهب من امتعة النصارى ثم بلصهم الباشا بخمسماية كيس نظير ما سلبوه»

(٣) اطلب في مجموعة جامعة بيروت الاميركية ترتيباته القضائية في طبرية وارشاداته الدينية الخصوصية الى الشيخ عبدالله الطبري حيث يقول «نكرر الخطاب على نايب افندي يلزم من فضيلتكم تدققوا في معنى امرى هذا الذي هو ناشي عن قريحتي ومستنبط من صريح امر الله تبارك وتعالى واطاعته موجبه لسلامة الدارين بسبب تعزيز الشريعة الغرا واجراء الحكم الشرعي كما انزل ومخالفته موجبة لوخامة الدارين فيلزم تمعنوا في امرى هذا ولا تؤثروا الدنيا على الاخره وشرفوا انفسكم بالدخول في زمرة العلماء العاملين الذين مدحهم الله تعالى في قوله عز من قايل انما يخشى الله من عباده العلماء ولا تاخذوا على فصل الدعاوى والافتا شيئاً ماجلّ اوقل وتستكفوا بما عيناه لكم » واطلب اوامره الى الشيخ عبدالله الفاهوم في الناصرة . راجع ايضاً امره بعزل الشيخ سعيد المصطفى من حاكمية

في هذا الصدد زهده الزائد في اواخر حياته وطلبه الخصوصي ان يقضي نحبه في المدينة المنورة وان يدفن فيها . وقد ذكر لنا سماحة الشيخ عبد السلام بك الطبري بيتين من الشعر نظمهما عبد الله قبيل وفاته في يثرب وارسلهما الى صديق له من علماء لوبياء قال في مطلعهما : « اذا كان اهل الكهف اكرم كلبهم » ولا يخفى ما في هذا القول من علامات الزهد والتقوى والتمسك بشفاعة الرسول العربي المصطفى

***

ولكن لو سلمنا مع علماء ذلك العصر وقلنا ان محمداً خرج عن دينه ببعض افعاله وتغييراته وانه حقيقة اباح بعض ما كان يعتقده المسلمون في ذلك الوقت منكراً ولو قلنا ان عبد الله كان من المحافظين على عوايد ذلك الدين وتقاليده لو قلنا هذا كله لما صح لنا ان نستنتج ان عبدالله قاوم محمداً لهذه الاسباب لان قول عبدالله يفتقر الى تزكية تاريخية ولا سيما وانه هو خرج على السلطان عام ١٨٢١ [1] وانه هو اباح بعض ما كان قد اباحه محمد من قبله [2] وكذلك فان منشوره هذا الى اهالي البيت المقدس اعلن في اوائل النزاع بينه وبين عدوه المصري ومن المحتمل ان يكون قد توخى به مصلحته المادية والادبية فيصبح ضرباً من الدعاية السياسية التي تكثر في اثناء الحروب والفتن والتي تنشر لتأييد المقاصد والمآرب واستهواء العامة واستغواها لا لاظهار الحقائق بأكملها . نعم ليس في امكان المؤرخ اليوم ان يثبت حقيقة تاريخية كهذه ما لم يتوفر لديه عدد كافٍ من التزكيات الفنية . وليس لدينا الان

القدس في سجل محكمتها الشرعية تحت تاريخ ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٦٧ . اطلب كذلك شفقته على الرعايا في نصوص المخطوطة الحبيشية — المجلة السورية ج ٣ ص ٣١٢ وج ٤ ص ٢٦ — ٢٧ و ١٨٣ . وراجع راي المسيو هنري جيز (قنصل فرنسة في بيروت وقتئذ) في سياسة عبدالله المالية في كتابه بيروت ولبنان (طبع باريز سنة ١٨٦٧) ج ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤

(١) كتاب اخبار الاعيان للشيخ طنوس الشدياق (طبع بيروت سنة ١٨٥٩) ص ٥٣٢ — ٥٤٠

(٢) المخطوطة الحبيشية — وتقارير القنصل كاتافاكو — المجلة السورية ج ٤ ص ٢٦ و ١٦٣ راجع ايضاً مخطوطة مشاقة المشار اليها آنفاً ص ١٩٩ — ٢٠٠

سوى تزكية واحدة نقلها الينا عن ابن اخت الباشا الرحالتان الافرنسيان ميشو وبوجولا المشهوران [1] . ولا يخفى ان ابن الاخت لا يزكي اقرار خاله في احوال كهذه ولا سيما اذا كان هذا يرجو نفعاً من ذاك . ولكن لو خالفنا شروط التزكية التاريخية وقبلنا شهادة ابن اخت الباشا في امر يهمه لما تمكنا من اثبات الحقيقة التي نحن بصددها لانه لا بد لنا من تزكيتين على الاقل مستوفيتي الشروط

اذاً جل ما يمكننا ان نقوله « اليوم » عن هذا الامر كله هو هذا : ان عبدالله حقيقة قال عام ١٨٣١ انه قاوم محمداً لخروجه عن دينه واباحته المنكرات واستعباده المخلوقات وان عبدالله كان من المحافظين على التقاليد الدينية القديمة اللهم اذا هي لم تناقض مصالحه ومصالح حكومته المهمة

---

(١) رسائل ميشو وبوجولا من الشرق ج ٥ ص ٣٣٣ — ٣٣٦